أهمية الطوبونية في صناعة معجم أسماء الأماكن

الأستاذ: حفار عز الدين

جامعة مستغانم

بسم الله الرحمن الرحيم

إن القارئ المتتبع لمختلف الإصدارات الجديدة في مجال المعاجم يدرك العطاء في مجال صناعة معاجم أسماء الأماكن، بالرغم من التطور الذي شهدته صناعة المعجمات التي استمدت نتائج تطور اللسانيات التطبيقية. والحقيقة لسنا ندري لذلك سببا في إهمال هذا النوع من المعاجم.

فإن كانت وظيفة المعاجم العامة والمتخصصة تتمثل في تزويدنا بمعلومات دلالية، فالأمر لا يختلف في الأهمية التي من أجلها دونت معاجم أسماء الأماكن.

وقد ظلت صناعة معاجم أسماء الأماكن "... تتصف بالطابع التجريبي الذي لا يعتمد على منهجية عملية حقيقية، وإنما على الخبرة العلمية التي اكتسبها واضعو المعاجم في القرون الماضية [1]".

ومع تطور اللسانيات التطبيقية، وما تفرع عنها من علوم أخذت صناعة المعاجم تنحو نحو المنهجية العلمية، ولعل في مقدمة هذه العلوم نلفي المعجمية، وصناعة المعاجم، والطوبونيمية التي تختص بـ " الدراسة اللسانية لأسماء الأماكن، أو دراسة مجموعة أسماء الأماكن لمنطقة معينة " [2].

إن التلاقح بين العلوم الثلاثة - أقصد بها المعجمية، وصناعة المعاجم، والطوبونيمية تولد عنه ظهور "آثار التطور نحو إرساء أسس علمية موضوعية تستند إلى نتائج البحوث التي أقيمت في مختلف ميادين علم اللسان الحديث" [3].

والناظر في صناعة معاجم أسماء الأماكن يلفيه لا يخرج عن الإطار العام الذي وضعه المعجميون لصناعة المعاجم العامة والمتخصصة فنجده "...يعنى بجمع

الرصيد المفرداتي وتصنيفه، وترتيبه وفق نظام ألفبائي أو موضوعي، وتعريف المداخل وتوضيحها " [4].

ويجدر بنا قبل أن نلج في دراسة الرصيد المفرداتي في معجم أسماء الأماكن وترتيبها وتعريف مداخلها أن نعرف بمعجم أسماء الأماكن .

يعرفه سليمان ناصر الدرسوني بـ : "المرجع الذي يذكر أسماء الأماكن والبلدان ومواقعها وصفاتها مرتبة ترتيبا خاصا" [5].

والحاصل مما سبق، أن معجم أسماء الأماكن يختلف عن غيره في المداخل، فلا يعتني بالألفاظ اللغوية،و لا بالمصطلحات العلمية، وإنما غايته هي حصر الأماكن لمدينة معينة، أو دولة معينة، وينبغي أن تخضع هذه الأماكن لترتيب معين كي يسهل التعامل به.

عناصر معاجم الأسماء الأماكن: إن المعاجم مهما كان نوعها تشترك كلها في العناصر الآتية: الجمع، والوضع، والتعريف. وإن كانت هناك سمات فارقة تظهر خصوصا في معجم أسماء الأماكن كما سنراها فيما بعد إن شاء الله تعالى .

المدخل: يتكون معجم أسماء الأماكن من مجموعة من المداخل، ويعرف المدخل بـ: " الصيغة اللغوية المستقلة التي تصح أن تقع مفردة برأسها في المعجم وهو الكلمة المراد تعريفها" [6].

ويعرفه خالد فهمي بأنه "وحدة تشكل موضوع مادة في قائمة ما، وهو عنصر يتضمن معلومات خاصة بمعان مختلفة، أو بمفهوم خاص، ويعد هو العمود الفقري لأي عمل يهدف في النهاية إلى صناعة معجم ..." [7] .

فالمداخل في معجم أسماء الأماكن لا تمثل مفردات اللغة، وإنما هي مفردات أسماء الأماكن ويسميها محمود فهمي حجازي بالمداخل الخاصة لأنها "... مداخل تدخل المعجم وإن لم تكن من الكلمات العادية في اللغة... ومن بين

هذه المداخل أسماء الأعلام التي تتضمن أعلام الأماكن وأعلام الأشخاص.... وتكون لها مداخل طبقا لمنهج محدد في الاختيار" [8].

إذا كانت المداخل يصعب حصرها في المعاجم العامة، وذلك نظرا لتشعب الألفاظ اللغوية من جهة وازدياد نمو الألفاظ عبر الأزمنة من جهة أخرى، فإن الأمر مغاير بالنسبة لمعاجم أسماء الأماكن، فبإمكانها أن تحصي مداخلها كاملة ونخلص إلى أن معاجم أسماء الأماكن "من الممكن أن تحقق صفة الشمول أو التغطية الكاملة للمفردات ومن المستحيل أن تحقق المعاجم العامة ذلك خاصة إذا كانت تتعامل مع اللغة المعاصرة التي من أهم سماتها الحركة الدائبة والتغير المستمر" [9].

فالحاصل إذا أن مداخل معاجم أسماء الأماكن هي مداخل محددة باعتبارها ليست معاجم خاصة بالألفاظ اللغوية.

إن المتأمل في مداخل معجم أسماء الأماكن يجدها تنقسم إلى ثلاثة أنواع:

أ- مداخل بسيطة: المداخل البسيطة وهي المداخل المفردة، أو المكتفية بذاتها، ويعرفها الجيلالي حلام بـ: " المداخل التي تظهر مجردة عن غيرها ومستقلة بنفسها صرفيا، ولا يمكن أن يدل جزء منها على معنى ..." [10]

مثال ذلك : بجاية - أدرار ...

ب- مداخل مركبة : المداخل المركبة "هي المداخل التي تمزج فيها وحدتان لتعطي دلالة واحدة ...." [11]

واضح مما سبق بأن المداخل المركبة تتكون من عنصرين لغويين متحدين في الدلالة. وبعبارة أخرى "هو ضم كلمتين إحداهما إلى الأخرى، وجعلها اسما واحدا، إعرابا وبناء سواء أكانت الكلمتان عربيتين أم معربتين ويكون ذلك في أعلام الأشخاص وفي أعلام الأجناس....." [12] .

وتنقسم المداخل المركبة إلى قسمين وهذا ما يؤكده لنا جواد حسني سماعنة بقوله : "هناك نمطان من التركيب في اللغة العربية وهما : التركيب

المزجي المعبر عنه باللفظة المركبة التي على شاكلة Blackbird في الإنجليزية، والتركيب اللفظي الذي تتمخض عنه المركبات اللفظية والمصطلحية" [13].

1- أسماء الأماكن المركبة : ويسمى هذا النوع أيضا بالتركيب المزجي و"هو مزج كلمتين في كلمة واحدة نحو حضر موت ...مع الاحتفاظ بالعناصر المكونة بكل صوامتها وصوائتها " [14].

فالأسماء المركبة إذا هي أن نجعل من الاسمين اسما واحدا ومثال ذلك عن أسماء الأماكن المركبة في الجزائر ما يلي :

تلمسان ...

2- التركيب الاسمي للأماكن : أما التركيب الاسمي للأماكن "فيتكون من كلمتين منفصلتين، أومن كلمة ولفظة مركبة .... " [15]

والاختلاف جلي بين أسماء الأماكن المركبة والتركيب الاسمي للأماكن في أن النوع الثاني يقتضي الفصل لا الضم بين العنصرين اللغويين مثل : تيزي وزو...

وأيضا الفصل بين اللفظ واللفظ المركب مثل / : عين تموشنت فلفظة العين واللفظة المركبة تموشنت بينهما مسافة صغيرة ولفظة سيدي بلعباس فلفظة سيدي واللفظة المركبة بلعباس بينهما مساحة ،ومن هنا، فالتركيب اللفظي يتميز بـ " الفصل ببين عناصر المركب بمساحة بياض، بين عنصرين من عناصره على الأقل، بعكس اللفظة المركبة التي تقترن فيها العناصر المؤلفة" [16].

2- ترتيب للمداخل المكونة لمعاجم أسماء الأماكن: للمدخل ترتيبان : ترتيب داخلي، وترتيب خارجي

الترتيب الخارجي للمدخل : ترتب مداخل معجم أسماء الأماكن وفق الترتيبات الآتية :

1- الترتيب بحسب الحقول الدلالية أو بحسب الموضوعات : إن المتتبع للمعاجم العربية القديمة يلفي أن المعجميين العرب قد ألفوا رسائل وفق الترتيب الموضوعي فقد "ظهرت رسائل البلدان والمواضع كجبال العرب لخلف الأحمر ومنازل العرب لابن المطرف، والبلدان لابن هشام الكلبي، فبهذه الأعمال يكون العرب قد بلغوا في هذا الميدان الغاية والمبتغى والقصد" [17].

فالترتيب بحسب المعاني يجعل أسماء الأماكن في شكل مجموعات، كل مجموعة تنضوي تحت حقل معين فـ "الأسرة كفكرة أو محور عام، يحدد فيه الباحث جميع الألفاظ الدالة على الأقارب سلفا كانوا أم أندادا أم خلفا وهذا بطبيعة الحال يسهل مهمته ويساعده في البحث عن مطلبه والحصول عليه في أسرع وقت ممكن" [18] ومثال ذلك صناعة معجم أسماء الأماكن مرتبا ترتيبا وفق الحقول الدلالية ولمعرفة ذلك إليك الشكل الآتي:

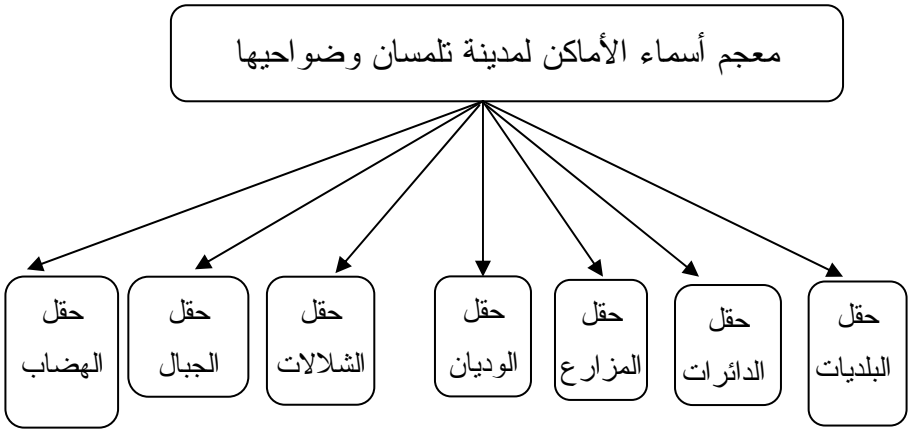

ب- الترتيب وفق الحروف الهجائية ودون تجريد: لقد كان للمعجميين العرب فضل السبق في ترتيب معاجمهم وفق أول حروفها دون تجريد وأمثال هؤلاء نذكر على سبيل المثال : المقصور والممدود لابن ولاد المصري، غريب القرآن للسجستاني، والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ، والمعرب من الكلام الأعجمي للجوا ليقي ويعد هذا الترتيب مألوفا سهلا وينبغي عند ترتيب مداخل معجم أسماء الأماكن الأخذ بهذا الاتجاه لترتيب المدخل ترتيبا هجائيا ألفبائيا ولكن دون اعتبار للجذور وإنما ترتب وفق شكلها النهائي.... [19] .

ونجد تمام حسان يؤكد هذا بقوله " وأحب أن أدعو هنا إلى جعل كل كلمة في اللغة مدخلا خاصا بنفسها ، ومن شأن ذلك أن نضع الأمور في صورتها السهلة بالنسبة لطلاب المعنى المعجمي فلا يحتم عليهم أن يصلوا إلى الكلمة من خلال أصلها المجرد " [20].

لأن معاجم أسماء الأماكن ينتفع بها اللغوي، والجغرافي، والمؤرخ، وعالم الآثار، والسائح، وحتى العوام من الناس، ومن هنا كان وضع كل مدخل في المعجم مدخلا مستقلا تيسيرا على مستخدمي هذه المعاجم، مع مراعاة أسبقية الحرف الثاني أثناء الترتيب مثل : تلمسان - تمنراست - تيبازة

2- الترتيب الداخلي : ويقصد بالترتيب الداخلي "ترتيب المعلومات في المدخل" [21] ومن هنا فالمداخل تحتاج إلى معلومات ،و من بين المعلومات المهمة في أسماء الأماكن تحديد أصل الكلمة وتوضيح هجائها وكيفية نطقها ثم شرحها.

فالمعجم يبين أصل الكلمة أهي عربية أم أمازيغية أم انتقلت من لغة أخرى، ثم يتبع ذلك بتبيين هجائها ونطقها.

- **تعريف المداخل:** يقصد بالتعريف شرح المداخل، ويعد التعريف من المشكلات التي تقلق المعجميين سواء في المعاجم العامة، أو المتخصصة وحتى معاجم أسماء الأماكن لا تخلو من صعوبة التعريفات.

يعرف Dubois التعريف بقوله : هو التحليل الدلالي للمدخل، ويتكون من عدة شروح معنوية يختلف كل تفسير عن الآخر .... "[22].

تتضمن تعريفات مداخل أسماء الأماكن مجموعة من التقنيات وإذا وظفت كلها بإمكاننا أن نحقق التعريف الجامع المانع أو ما يسمى بالكفاية الدلالية وهو ما " .... يجعل المستعمل لا يحتاج إلى معجم آخر لإتمام التعريف وهذا لا يتحقق إلا إذا ظل التعريف تتكامل فيه هذه التقنيات "[23] .

وينبغي تعريف مداخل معجم الأماكن مراعاة التقنيات الآتية :

ذكر أسماء الأماكن والظواهر الجغرافية، وما يرتبط بها من ضبط، وتحديد ووصف للمكان وموقعه وحدوده والتعريف بماضيه وحاضره "[24].

فإذا وفق المعجمي في رصد هذه التقنيات التعريفية، فعليه الأخذ بالشروط الآتية :[25]

- **الوضوح** : ويعني التعريف الدقيق لخاصيات المدخل.
- **الدقة** : وتعد متطلبا من متطلبات لغة التعريف حتى تفصل بين حدود المداخل.
- **الاكتمال**: أن يكون التعريف جامعا مانعا، غير ناقص.
- ومما يساعد على توضيح التعريفات أكثر ما يسمى بوسائل التعريف ولعل هذا الجانب يعد مهما في معاجم أسماء الأماكن كتوضيح الأماكن على الخرائط وتصوير الجبال والشلالات، وتتمثل هذه الوسائل في "استخدام الأمثلة التوضيحية... والصور والرسوم"[26].

ونخلص مما سبق إلى أن صناعة معاجم أسماء الأماكن تخضع لمجمل القوانين التي تأخذ بها المعاجم العامة، والمتخصصة، إلا أنها تنفرد ببعض

القوانين التي نجدها إلا في معاجم أسماء الأماكن، ويظهر هذا جليا على مستوى التعريفات كالمداخل التي لا تقبل التعريف بمعروف مثلا، أو كالتعريف بالمرادفات، هذا إضافة إلى ذكر المعلومات التاريخية عن المداخل، وردها إلى أصلها .

الهوامش

1- جورج المصري، صناعة المعجم العلمي المختص من منظور اللسانيات الحديثة، مجلة اللسان العربي، الرباط، العدد50، سنة2001، ص.85

2- Le petite larousse, Edution entierement nouvelle , Borados, 1997, p10-16

3- جورج مصري، صناعة المعجم العلمي المختص، ص.85

4- حلام الجيلالي، المعاجمية العربية قراءة في التأسيس النظري، ديوان المطبوعات الجامعية وهران، ط1، 1997، ص 4.

5- سليمان ناصر الدرسوني، معاجم أسماء الأماكن الجغرافية في المملكة ع س www.moktooblog.co 19 مارس، 11، 20 ص 3.

6- حلام الجيلالي، المعاجمية العربية، ص19.

7- انظر خالد فهمي، تراث المعاجم الفقهية في العربية دراسة لغوية في ضوء أصول صناعة المعجم والمعجمية، إيتراك القاهرة، ط1، 2003، ص 191.

8- محمود فهمي حجازي، اتجاهات معاصرة في صناعة المعجميات العامة، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 98، 2003، ص 139.

9- انظر، أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، عالم الكتب، القاهرة، ط .1، 1418 -1998، ص 40.

10-حلام الجيلالي، المعاجمية العربية، ص 19 .

11- المرجع نفسه ص 19 .

12- رمضان النجار نادية طرق توليد الثروة اللفظية، دار الوفاء، الإسكندرية، ط.1 2009، ص 64.

13- جواد حسني سماعنة، التركيب المصطلحي، مجلة اللسان العربي، الرباط، ع. 50، 2001 ص 41

14- انظر المرجع نفسه، ص41

15- المرجع نفسه، ص37

16- المرجع نفسه، ص 37

17- انظر الشلواي عمار، درعيات أبي العلاء دراسة دلالية إشراف عبد الله بوخلخال، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة قسنطينة، رسالة ماجستير 1995، ص 51.

18- المرجع نفسه، ص36.

19- نظر خالد فهمي، ثراث المعاجم الفقهية في العربية، ص 196.

20- تمام حسان، الأصول دراسة إبيستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،1982 ص 286.

21- أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، ص 98.

22 -Dubois J. et Coll . Dictionnaire de linguistique, Paris, Larousse 1973 P.156

نقلا عن حلام الجيلالي، المعاجمية العربية ص 26.

23- انظر حلام الجيلالي، تقنيات التعريف في المعاجم العربية المعاصرة، إشراف عبد الملك مرتاض، معهد اللغة العربية وآدابها جامعة وهران، رسالة دكتوراه، 1997، ص 59.

24- سليمان ناصر الدرسوني، معاجم أسماء الأماكن الجغرافية في المملكة العربية السعودية، ص 4.

25- محمد حلمي هليل، نحو خطة منهجية لوضع معجم ثنائي متخصص، مجلة المعجمية تونس: ع .8، 1992، ص .165

26- أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، ص 240.

المصادر والمراجع

أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، عالم الكتب، القاهرة، ط .1، 1418 –1998.

تمام حسان، الأصول دراسة إبيستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1982.

حلام الجيلالي، المعاجمية العربية قراءة في التأسيس النظري، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، ط1، 1997.

خالد فهمي، ترث المعاجم الفقهية في العربية دراسة لغوية في ضوء أصول صناعة المعجم والمعجمية، إيتراك القاهرة، ط1، 2003.

رمضان النجار نادية طرق توليد الثروة اللفظية، دار الوفاء، الإسكندرية، ط.1 2009.

جورج المصري، صناعة المعجم العلمي المختص من منظور اللسانيات الحديثة، مجلة اللسان العربي، الرباط، العدد50، سنة2001.

جواد حسني سماعنة، التركيب المصطلحي، مجلة اللسان العربي، الرباط، ع. 50 2001.

محمد حلمي هليل، نحو خطة منهجية لوضع معجم ثنائي متخصص، مجلة المعجمية تونس : ع .8، 1992 .

محمود فهمي حجازي، اتجاهات معاصرة في صناعة المعجمات العامة، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 98، 2003.

الشلواي عمار، درعيات أبي العلاء دراسة دلالية إشراف عبد الله بوخلخال، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة قسنطينة، رسالة ماجستير 1995.

حلام الجيلالي، تقنيات التعريف في المعاجم العربية المعاصرة، إشراف عبد الملك مرتاض، معهد اللغة العربية وآدابها جامعة وهران، رسالة دكتوراه،1997.

سليمان ناصر الدرسوني، معاجم أسماء الأماكن الجغرافية وفي المملكة العربية السعودية www.moktooblog.com 19 مارس، 11، 20.

Dubois J. et Coll . Dictionnaire de linguistique, Paris, Larousse 1973

Le petite larousse, Edution entierement nouvelle, Borados , 1997